**تحليل النص الشعري** (1)

**كيفية تحليل النص الشعري**

**المفهوم**:

المحطة الأولى التي يجب المرور بها، كما هو الشأن في كل علم، هي محطة التعريف، فنقوا ابتداء إن الأمر يتعلق ببنية لغوية وأدبية إبداعية، منتظمة وذات خصائص معينة تميز بها عن باقي التشكلات الأدبية؛ ذلك أن الشعر تتوزعه كثير من المدارس ومختلف التيارات الفكرية، وهو نفسه يتقلب بين العديد من الأجناس الكتابية المسماة أغراضا، كالغزل والفخر والمديح والهجاء، والحماسة إلى غير ذلك من الأغراض المتعددة.

قد يتعلق الأمر، ونحن بصدد النظر في النص العربي، بتحديدات شائعة عرفها تاريخ الشعر العربي ونقده، وقد يسول لنا أمرٌ ما أنه يمكن الاكتفاء بما توفره المدونة القديمة وما يوفره الدرس المتأخر، الناقل عنها، ولكنه يستحيل التغاضي عن الأداء الكوني الحديث الذي يشاركنا الرؤى والتصورات النقدية، كما يشاركنا طرق المعالجة والنظر، بل أكثر من ذلك يملي علينا ــــــ تحت ضغط الحداثة ـــــــ نظريات تأسست بناء على منجزات شعرية ونقدية هي مستحدثاته هو، ومتعلقات وجوده الخاص، وعلى أساس من ذلك يتحتم إدراج الوافد هذا في مدارنا النقدي لتتم المعالجات على أساسه.

فعلى سبيل المثال، لا تتكلف كثير من الدراسات، وهي متعجلة في الواقع، إضافة تعاريف لمفهوم النص بعيدا عن الثقافة الغربية التي يسير دولاب النقد وفق إملاءاتها، وقد تتغاضى عن المنجز العربي الذي يتجاوزه جانب من الرؤية المعاصرة، كأنه لم يكن يوما ما، وسبيلنا في هذه العجالة أن نشير إلى ما في هذا التجاوز من تحكم، وإلى ما في اقتفائه من جناية على الحقيقة. وقد يغفل الكثير ممن نصفهم بالمتعجلين عن اتكاء المنجز الغربي ــــــ ثقافيا عاما، وأدبيا خاصا، وشعريا بشكل أخص ــــــ أن أهم النظريات التي هي مرجعيات مستمدة من الموروث العربي بشكل خالص أحيانا، وأحيانا أخرى بصورة ممزوجة عن الميراث الأرسطي الذي حينته نظريات النقاد العرب ومؤرخي الآداب.

نشير من هنا، إلى أن الذي يدور في المجال التداولي النقدي، على مستوى التدوين وعلى مستوى التحليل، يخضع إلى نسبيةٍ هذا سببُها وتلك دواعيها، وعلى أساس من تلك النسبية ينبغي أخذ حقيقة النص الشعري المعاصر ومشكلات تحليله.

**كيفية تحليل النص الشعري**:

**1.التحليل:**

المرور بتحديد التحليل تحديدا لغويا، ثم اصطلاحيا، أمر من الأهمية بمكان، لأن بذلك تتعيّن الجوانب الإجرائية التي هي أساس فيما نحن فيه، فالتحليل لغةً مأخوذ من حَلَّ العقدة إذا فكها، وصار بها إلى الأجزاء المكونة لها انتهاء إلى معرفة سبل عَقْدها وتركيبها. والتحليل بالمفهوم الاصطلاحي يعني الصيرورة بالنص إلى الأجزاء المكونة له، والنظر في بناه السطحية فالعميقة، وصولا إلى فهم مقاصده، والتعرف على طرق تركيبه، بناء على منهج إجرائي لا ينبغي أن يخطئه المحلل، وما قيل في التحليل يصدق على النص. فما النص؟

**2.النص**:

كثيرا ما نجد الدراسات العربية الحديثة ناسخةً للمفهوم الغربي للنص، texte، الآتي من texture، الذي يعني النسيج، وهو معنى قريب مما في العربية، يعني رفع الحديث إلى من أحدثه في عملية تشابك تحمل معنى النسج، ومنه: "(نَصَّ) النساءُ العروسَ إذا رفعنها على (الِمنَصَّة) وهي الكرسيّ الذي تقف عليه في جِلائها[[1]](#footnote-1)، وذكر الجوهري في الصَّحاح: "نصصتُ الرجلَ، إذا استقصيتَ مسألتَه عن الشيء حتَّى تستخرج ما عنده". قال: " ونَصُّ كلِّ شيء: منتهاه"[[2]](#footnote-2)، وبالمعنى الأخير تشير كلمة "نص" إلى مرحلة اكتمال النسيج اللغوي بصفته حمال شبكة معانٍ نهائية التحديد شاملة المقاصد.

وقبل اقتراح شيء ما، بصدد مسألة **التحليل**، يجب التنبيه على أن الطرق المدرسية التي نصادفها في كثير من الاجتهادات لا تنفع في استبطان حقائق النصوص ومقاصدها، لخضوعها لمناهج قاصرة بمحدوديتها، ومحدودة بممارسات أصحابها، والمزيد من التشقيق من هذا المعنى يطول بنا، فلندعه. أما الذي يجب الإهابة به، هو واجب إدراك المناهج الشاملة التي يأخذ بها الدرس الكوني الخارج عن انتماءات الممارسين، المتعالي عن توجهاتهم إلى وجهة تتكامل بسعة المفاهيم وتطبيقاتها هنا وهناك.

وقد يلتقي المنظرون لهذه المشكلة ــــــ في حدود عامة ــــــ على فكرة أن التحليل مبدأ إجرائي يهاب به من أجل الفهم الصحيح للنصوص الشعرية، والوقوف على طرق تشكيلها ووجوه بنائها، وفهم ما فيها من ألوان التصوير والهندسة الجمالية المتوجة لكل ذلك. وبقصد الوصول إلى هذا المبتغى يتحتم تمثل الجانب الإجرائي، وإدراك جزئياته كما هي في منابعها النظرية، للتمكن من تطبيقها بما يوافق النظريات أولا، وبما لا يبتعد عن البنى النصية في مجملها.

**الإجراء العملي**:

1. **مكانة النص في العملية التحليلية:**

نحن الآن أمام نص، له تاريخه، كما له سياقه الثقافي، والأدبي، كما له شبكة دلالات يتميز بها عن غيره، وله مقاصد ينسجم فيها وجوبا القائلُ (الناصُّ) بالْمَقُول (النص)، وبقدر انسجامه هذا ينفصل عن غيره لأن خصوصيته فارزة بينه وبين غيره؛ وعلى ما تقتضيه نظرية التحليل يجب أولا وضع النص في سياقه العام، والأخذ في الاعتبار للجوانب المكملة لبنيته العميقة، كالجانب الاجتماعي، والجانب السيكولوجي، والجانب الثقافي، والجانب التاريخي، لأن هذا المجموع مساهم في نشأة التجربة الشعرية للشاعر، وإطارٌ حاوٍ للتجربة الشاملة التي يندرج فيها شاعر من الشعراء، وذلك كله على نقيض ما تذهب إليه بعض التيارات اللاغية لهذا الجانب المتكامل من الأطر الأدبية، كما هي نظرية الشكلانيين وقبلهم البنائيون القائلون بذاتية التجربة الشعرية، ووجوب تفسيرها وفقا لهذه الذاتية الذاهبة ــــــــ في تصور له نصيب عظيم من الغرابة ـــــــــ إلى اعتبار موت المؤلف مرتكزا لتجربة الكتابة ولتجربة القراءة في الآن نفسه؛ هذا هو الذي يغدو مرجعية للنظر التحليلي بصورة منطقية. ولن يكون الأمر على تمامه إلا إذا قوبلت مدرسة النص/الناص؛ القصيدة/الشاعر بنقائضها، لأن كثيرا من التجارب الأدبية، والفكرية عامة، تفهم انطلاقا من مقابلتها بغيرها، وقد فطن إلى ذلك كثير من النقاد فاعتبروا التجارب انطلاقا مما يختلف عنها لا انطلاقا مما يوافقها.

إن ما تقدم يصلح أن يكون مبدأ عاما في التحليل الأدبي، لا يختص بالشعر وحده، وأما الذي هو للشعر خالص فهو زاوية التفرد الآتية من تحكم بعض الاعتبارات الأفقية والعمودية في التجارب الشعرية، من حيث الشكل ومن حيث المضمون. فخضوع الشعر لخصوصية حاجبة يوجه آليات نقده وجهة لا يأخذها النقد الروائي، مثلا، ولا النقد المسرحي؛ فبدءا بمشكلة المؤلف، مع ما فيها من إشكالات، لا يشبه كُتَّاب الرواية، وصَنَعَةُ المسرح، الشعراءَ، لأن العوالم المفرزة لكل واحد منهم مختلفة، والقوالب التي يتحركون فيها مختلفة، والغايات التي يهدفون إليها لا تلتقي في منتهى متوافق. والذي يعنينا من هؤلاء كلهم الشاعر، وليس غيره.

**ب**. **مكانة الشاعر في العملية التحليلية**

إن من الأهمية بمكان أن نلفت إلى وجوب النظر إلى منزلة الشاعر من العملية الإبداعية، من خلال السياقات العامة كما أسلفنا، يعني أفقيا، وعموديا من خلال الجانب الذاتي المتمثل في توجهاته الفكرية، وفلسفته الإبداعية، والميراث الذي تركه (إن لم يكن على قيد الحياة) على مستوى التأليف، والمذهب الذي يأخذ به (إن كان على قيد الحياة) على مستوى الأفكار، والانتياء عن نظرية **الموت** التي أسلفنا.

لا بد أن تكون ملاحظة مذاهب الشعراء وميراثهم المكتوب باعثة على اعتبار مسألة المنهج في معالجة النصوص الشعرية، فإذا كان إنشاء النصوص خاضعا لفلسفات الشعراء وتجاربهم في الحياة، فإن معالجتها النقدية تخضع لفهم بنية الشخصية الشاعرة، و بغير ذلك لا تتم القراءة العالمة الموفقة.

يتضح من هنا أن في الانفصال عن المنهج في قراءة التجارب الشعرية، ميلا إلى السهولة وإلى الحرية غير المبررة في تناول تجارب لا يحكمها العبث، ولم تأت من عدم، ولا شيء يُسَوِّغ إيكالَها إلى فوضى القراءة إن كان في الفوضى ما يسمى قراءة. أساس هذه الملاحظة ما شاع عن بعض النقاد من استثمار ما سموه بالمنهج المتكامل، الذي هو في حقيقته لا منهج، لأن لاشيء فيه يشي بوعي نقدي مستبصر، ولا أثر فيما يقوله أصحابه لجهد حقيقي يستحق الاحترام.

وإتمام لمشكلة المنهج في التناول، يعنينا التنبيه إلى جدلية النص/المنهج، بمعنى أن كل نص يفرض منهج قراءته، وهو أمر صحيح لكن ليس على إطلاقه، ففي النقد معالم ثابتة ومرتكزات يمكن تحكيمها في قراءة كل النصوص بصفاتها تجارب، وهناك مجال يمكن إفراد منهج لنص بعينه، وهو ما يصدق على النصوص الكبرى التي هي استثناء في تجارب الكتابة. أما تلك التي لا يميزها عن غيرها ما عدا اسم مؤلفها، فليس فيها ما يدعو إلى فرزها عن غيرها من وجهة نظر نقدية.

1. الفيومي، المصباح المنير، مادة(نص) [↑](#footnote-ref-1)
2. الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (نص) [↑](#footnote-ref-2)